

# الدَّلَالَةُ الْجَدِيدَةُ وَالتَّطَوُّرُ الْلُّغَوِيُّ

## الدَّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ السَّاهِرَاءِيُّ - بَغْدَادٌ - كُلِّيَّةُ الْأَدَابِ.

ومنهم من رد هذا التطور اللغوي الى ما يطرا على المجتمعات من اختلاف الظروف الجغرافية والمناخية . وهم يبنون هذا على جملة وقائع عرضت لشعوب مختلفة في تطورها التاريخي . على أنهم يذهبون مذاهب في تفسير هذا التطور الصوتي ، غير أن هذه اتفاقيات مختلفة لا تسلم من الطعن فيها فهي وإن كانت وجيهة فإنها تفتقر دائماً الى الاصالحة والشمول ، بحيث يمكن الاخذ بها على أنها نظريات ثابتة .

وقد حلا لبعضهم ان يفسر التطور الصوتي بقوانين «مندل» في الوراثة ، والرد على هذا من الامور الهيئة . وقد استعاروا طريقة تشارلز دارون العالم الانكليزي في التطور وهو ما يدعى بـ «المذهب الطبيعي» . قال دارون في كتابه «أصل الانواع الطبيعي» بمائة تنازع البقاء وظهور

«The Origin of Species» صفات خاصة في بعض الأفراد وانتقال الصفات الخاصة بالوراثة إلى النسل وشيوخ هذه الصفات وكثيرتها بحيث يمكن اعتبار من يرثها من النسل نوعاً مختلفاً عن لم يرثها . وقد طبق العالم الجيولوجي ليل «هذه النظريات على اللغة فقرر : «أن الانواع في الطبيعة ، واللغات في التاريخ تتغير تبعاً لنواميس متشابهة ... والعاملان الجوهريان في اللغات هما كما في الانواع الطبيعية التغير والانتخاب الطبيعي . وكما يحصل في الانواع يحصل كذلك في اللغات أيضاً نتائج عظيمة لجمع اسباب عديدة صفيرة لا قيمة

شارك العرب الاقدمون في العلم اللغوي كما شارك غيرهم من الأمم القديمة كاليونان والهنود والصينيون . ولعله من غير المجد في عصرنا الحاضر ان نبحث في اصل اللغة ، والذي يعنينا من اللغة انها مظهر ونشاط للطبيعة البشرية الإنسانية . وينبني على ذلك انها مظهر من مظاهر عالم الاجتماع الذي يعني بالنشاط الانساني في مختلف احواله .

وائف «علم اللغة» في العصر الحاضر بالصفة العالمية الخالصة ذلك انه ليس مادة يستعان على ادراها بالتأمل كما كان في عصور سلف . انه الان مادة موضوعية يتبع في علاجها ومعرفتها المنهج الوصفي ، ومن هنا يدخل التطور اللغوي في هذا المنهج .

ان علم اللغة بهذه الحدود الجديدة من العلوم الغربية الحديثة التي بحثها الغربيون وتشعبوا فيها ، وقد كان ذلك اثر الاهتمام بما دعاه كريسم Grimm بالقوانين الصوتية فقد كان سائداً أنها قوانين عامة شاملة تطبق على جميع اللغات وهي كالقوانين الطبيعية الأخرى .

وقد عرضوا لاسباب هذا التطور في الاصوات فرددوا ذلك الى الاختلاف الذي يحصل في اعضاء النطق ، وقد عرضوا في ذلك لجملة من الملاحظات والتجارب لاثبات ما يعنون الاصوات من تغيير اذا ما حدث اي تشويه في اعضاء النطق .

نها في أحد ذاتها كادخال عبارات أجنبية وكثرة الخطباء والكتبة والاختراعات والاكتشافات وتعلم علوم جديدة وتنازع الالفاظ الى غير ذلك مما يغير اللغة » [1] .

ثم جاء بعد « ليل » العالم اللغوي شليخسر فنشر كتابه بعنوان « دارون وعلم اللغات » وقد قرر فيه « ان مبادئ دارون ينطبق جميعها على كيفية نمو اللغات فان جميع اللغات الاوروبية يكاد يكون لها اصل واحد هو اللغة الهندية الجرمانية ، ومنها تفرعت عدة فروع باديء ذي بدء ثم تفرع من هذه الفروع فروع اخرى . على أن تفسير التطور اللغوي بهذه المحاولات لم يكن الا مجرد آراء اخذ بها اللغويون في مطلع هذا القرن ، وهي من غير شك محاولات لا تسلم من النقد الذي وجه اليها .

غير انه من الثابت أن التطور اللغوي يحدث في مادة اللغة التي تؤلف بنيتها وكيانها واعني بذلك الالفاظ التي تبني منها اللغة . هذه الالفاظ يخضعها الاستعمال فتجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية *Sémantique* جديدة يستدعياها الزمان والمكان . وليست العربية بداعا بين اللغات ، ذلك ان اللغات كافة تخضع لسنة التطور ، وان الكلمة في كثير من اللغات مادة حية يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها وتتجدد فيها الحياة فتتطور وتبدل وربما اكتسبت خصوصيات معنوية ابعدها الاستعمال عن اصلها بعدا قليلا او كثيرا . وليست العربية بنجوة من هذا الذي يطرا على غيرها من اللغات .

وعلى هذا يتحتم على الباحثين والدارسين ان يأخذوا انفسهم بالمنهج الوصفي ، فان كثيرا من الالفاظ انتقلت انتقالات عده بحيث ان « المصطلح الفنى » يؤلف مثلا مرحلة معنوية من الدلالة التي انتهت اليها لفظة من الالفاظ او تركيب من التراكيب . فلا بد ان يعني المعجم الحديث بهذه الناحية ويشتت هذه الالفاظ التي جدت في العربية وافتضتها ظروف المجتمعات الجديدة .

ومن العجب ان المعجم العربي الحديث لم يول هذه الناحية ما تستحقه من عناية كافية وربما تنكر

(1) من المقالة الثانية من كتاب « فلسفة النشوء والارتقاء » لشيلي شمبل ( مطبعة المقطف مصر ) ص 120 - 121 .

(2) من هؤلاء Darmestetiv في كتابه « حياة الكلمات » La vie des mots . ومنهم Richard و Ogden في كتابهما فى كتابه « حياة اللغة » La vie du langage . The Meaning of Meaning